



نزيه أبو غصن يوهيات ناقصة

... ورائحة الناس؟

لِلجَنَّةِ رائحةُ الماعزِ في ليلةِ العرسِ.
للحيواناتِ (كُلِّ الحيوانات) رائحةُ الصداقةِ.
لِلصداقةِ رائحةُ: «قَبِّلني لأذبحك!».
للحريةِ رائحةُ دمٍ على سكينِ.
للموتِ رائحةُ هواءِ الكنائسِ.
للرهبانِ والمُبشِّرينِ رائحةُ «نفتالين» أسودِ.
لِلخيانةِ رائحةُ ابتسامَةٍ يابسةِ.
للكراهيةِ رائحةُ العتمةِ.
للحبِّ رائحةُ الندمِ.
للحزنِ رائحةُ لونِ أزرقِ.
للحنانِ رائحةُ دمعَةٍ.
للعصافيرِ رائحةُ السمواتِ.
لِليُمونِ رائحةُ السعادةِ.
للزهرةِ الصفراءِ في الحقلِ رائحةُ: «يا أمِّي ارحمني!».
للربيعِ رائحةُ الخوفِ.
للموسيقىِ رائحةُ إلهِ بيكيِ.
لِلرغبةِ رائحةُ الاحتضارِ.
لِلورقةِ البيضاءِ رائحةُ «انتظرنِي أيها الوقت!».
لِلمستقبلِ رائحةُ «توت عنخ آمون».
ولِلناسِ ليس إلا... رائحةُ الناسِ.

2015/4/26

امبرتو إيكو أقفل مطبخه السري



مشروع فكري يصعب اختزاله في مشكل نقدي واحد

فوصل إلى نتيجة حاسمة بأن التاريخ الكذوبية مكررة على نحو سيئ، أو بعبارة أخرى: كيف نصنع تاريخاً مزيفاً؟ أما روايته الأخيرة «العدد صفر» (2014)، فيفتتحها باغتيال موسوليني وعشيقته (1945)، ويغلقها بماقيا الصحافة الإيطالية، على هيئة مذكرات تتبع في وقائعها أيام الأسبوع. بين هذين القوسين، يقذف إمبرتو إيكو حممه في فضح الفساد وعمل المافيا الإيطالية، وأبرز الأحداث التي شهدتها بلاده ما بعد الحرب العالمية الثانية، ضمن بناء سيميائي معقد يعتمد الرموز، بما يشبه متاهة «اسم الوردة» في رهان صريح على قارئ نوعي في المقام الأول.

بعيداً عن أعماله الروائية، وأنشغالاته الفلسفية والسيميائية، التفت إمبرتو إيكو نحو مشغل الكتابة نفسها، وتحولات القراءة، والصراع بين الكتاب الإلكتروني والكتاب الورقي في نزعات ممتعة ومثيرة للجدل، كما لم تنقصه روح الدعابة والسخرية من عالم ما بعد حدائني يعاني اختلالات مفزعة في صناعة الوهم والنفاق والتناقضات، وذلك باستدراج المؤلف واليومي نحو منطقة كتابية مدهشة. هذا ما نجده في كتابه «كيفية السفر مع سلمون» مثلاً. وسوف يواجه عصر الكمبيوتر والانترنت بطمانينة، نافياً مخاوفه من احتضار الكتاب الورقي «فلو كان لزاماً على الكتب أن تختفي، مثلما حدث لألواح الطين والمسلات التي تنتمي لحضارات عصور سحيقة، لكان هذا سبباً وجيهاً لإلغاء المكتبات. ولكن العكس صحيح، فالكتب يجب أن تحيا كمتاحف تحفظ إنتاج الماضي، تماماً مثلما تحتفظ الآن في أحد المتاحف بحجر رشيد فقط، لأننا لم نعد نحفر وثائقنا ونصوصنا على سطوح معدنية»، ويضيف مؤكداً الإعجاب الذي أكنه للمكتبات سيحمل قدراً كبيراً من التفاؤل، لأنني أنتمي إلى تلك الحفنة من الناس، التي ما زالت تعتقد أن للكتاب المطبوع مستقبلاً، وأن جميع المخاوف المتعلقة باختفائه ما هي إلا مثال آخر لبعض المخاوف المرعبة المتعلقة بانتهاه شيء ما، بما في ذلك انتهاء العالم. متاهة المكتبة التي تتعثر بين ممراتها ورفوفها، والغاز كتبها النفيسة، ليست مجازاً تخييلياً نصادفه في رواياته وحسب، فهناك نسخة مطابقة منها، هي مكتبته الشخصية التي تضم نحو 30 ألف مجلد، عدا مكتبته الريفية التي تحتوي نحو 20 ألف كتاب، فهذا الرجل غارق بين ماضي سحيق، ومستقبل مضطرب. في مقال له بعنوان «كيف أكتب»، يقودنا إلى مطبخه السري في الكتابة، وكيفية تشييد عالمه التخيلي. يستيق الأسئلة بأنه لا يمتلك طريقة واحدة لكتابة الرواية، وبأنه ليس من أولئك الكتاب الذين يستيقظون في الثامنة صباحاً كي يكتبوا مهما كلف الأمر «ليس أنا من يفعل هذا» يقول. إنه رجل خرائط، وملاحظات، وبرتريجات «لكن ما يحصل بعد ذلك، هو أنني أبداً بالرمي، التمزيق، نسيان الأشياء في مواقع مختلفة». ويعترف أخيراً، بأن لذة الكتابة لا تكتمل إلا بلذة القراءة: «لا أثق بمن يقولون إن المرء يكتب لنفسه. هناك شيء واحد تكتبه لنفسك وذلك هو قائمة المشتريات، إنها تساعدك على تذكر ما تود شراءه، وحين تنجز شراء كل شيء بمقدورك إتلاف القائمة لأنها لا تفيد أحداً. كل شيء آخر تكتبه، إنما تكتبه لقول شيء لشخص ما». ويختتم بقوله «إنه لشخص غير سعيد ويأس ذلك الكاتب الذي لا يستطيع مخاطبة قارئ المستقبل». لعل هذا ما فعله صاحب «القارئ في الحكاية» باطمئنان، إذ لطالما خلخل اليقينيات بسرديات مضادة.

خليل صويلح

«من لا يقرأ يعيش حياة واحدة حتى لو اجتاز السبعين عاماً. أما من يقرأ، فيعيش خمسة آلاف عام. القراءة أبدية أزلية» (امبرتو إيكو)

يشبه امبرتو إيكو (1932-2016) منقياً للأثار، وربما محققاً في رواية بوليسية، لجهة التاني في فحص المادة الخام التي بين يديه، وتقليبها موشورياً لمعرفة أين تكمن خصوصيتها. ذلك أن هذا الفيلسوف والسيميائي الإيطالي، الذي توفي أول من أمس، في ميلانو، لم يكتف بالاشتغال في حقل التأويل، وطبقات السرد، ومتاهات الأرشيف، بل لجأ متأخراً إلى كتابة الرواية أيضاً. ولاحقاً، انخرط في تفسير آليات الكتابة نفسها، وإذا بنا حيال عمارة موسوعية لمشروع فكري يصعب اختزاله في مشكل نقدي واحد. كانت روايته الأولى «اسم الوردة» (1980) مفاجأة حقيقية نقلت اسمه من الأوساط الأكاديمية المغلفة إلى الفضاء الثقافي العام، ووضعته في الواجهة كواحد من أكثر الروائيين شعبيةً. صعوبة مناخات الرواية التي تدور أحداثها في أحد أديرة القرون الوسطى، لم تقف حائلاً دون انتشارها المدوي بين ملايين القراء في العالم (طبع منها نحو 15 مليون نسخة، في 30 لغة عالمية)، نظراً إلى حبكة البوليسية المحكمة والإغواءات السردية التي تتناوب فصولها الغامضة بإيقاع متوتر وأخاذ. وسوف يروي بعد سنوات أسرار مطبخه الروائي خلال كتابة هذه الرواية. في كتابه «حاشية على اسم الوردة»، وكيف أنه جمع وثائق تتعلق بالعصر الوسيط، وكانت وجهته أن ينجز كتاباً يورخ للوحوش. وفجأة لعت في ذهنه كتابة رواية عن جريمة تجري أحداثها داخل دير للرهبان. هكذا انكب نحو ثلاث سنوات على بناء خريطة للمتاهة التي ينوي إنشاؤها بقياسات هندسية صارمة تتلامح مع جغرافية الدير المتخيل، ثم قراءة صحف العصر الوسيط وتعيين أشكال السرد وبنية الإيقاع والنفس الروائي. حتى إنه حصر عدد درجات السلم اللولبي في الدير، ومتاهات المكتبة ليدشنها أخيراً بحارس أسمى، وصولاً إلى شخصية القاتل. ويلفت صاحب «6 نزعات في غابة السرد» إلى أنه ظل ثلاثة أشهر يشتغل على تحيّل المكتبة المتاهة، بما يتطلبه من معطيات العصر الوسيط، لافتاً إلى أن «الدخول إلى عالم أي رواية، أشبه بجولة للزئذ في الجبل. يقتضي ذلك اختبار نفس معين أثناء المنسي، والتقدم بخطوات متوترة، وإلا توقف المرء فوراً عن مواصلة التجوال». وبرغم خصوصية رواياته اللاحقة وأهميتها في ابتكار سرديات لافتة، لم تحقق الشهرة التي حققتها روايته الأولى، لكن هذا الأمر لا يعني تراجعاً في حضوره التخيلي، بقدر ما يشير إلى الثقل المعرفي لنصوصه المتفردة. في روايته «بندول فوكو» (1988)، يرسم دائرة واسعة من المعارف في تجوال جغرافي على تحولات العالم، بدءاً من القرون الوسطى الأوروبية، إلى الحروب الصليبية، وجماعة الحشاشين، والحركات الدينية، قبل أن يربطها بالعالم السري لدور النشر في زمننا الراهن، على خلفية إحالات ثقافية ثرية، من دون أن يهمل الحكمة البوليسية التي يتكى عليها في معظم رواياته الأخرى بقصد جذب المتلقي إلى ولائمة البلاغية الدسمة. وتالياً لن نستنهج عدد السنوات التي يصرفها في إنجاز رواية واحدة، فهو ينهمك طويلاً في إعداد مواد الخام، وإعداد الخطط التقنية، وكتابة الملاحظات، وجمع الوثائق.

هكذا صرف 8 سنوات من أجل كتابة «بندول فوكو»، و6 سنوات لإنجاز «جزيرة اليوم السابق» (1994)، ومثلها لكتابة رواية «بادولينو» (2000). في فقرة تاريخية لاحقة، يميظ اللام في روايته الضخمة والمعقدة «مقبرة براغ» (2010) عن حقائق تاريخية جرى التكتّم عليها خلال القرن التاسع عشر عبر خلطة من الشخصيات الهستيرية. لن نستغرب منظر الجثث في إحدى بالوعات باريس، ومعقالات إبادة هتلرية، ومجازر كومونة باريس، ومحافل أشرار، ووثائق مزيفة، ومخططات ماسونية، ومكاند كهنة، وجواسيس، ومؤامرات. ثلاثة رواة يتناهبون الوقائع في لعبة بوليسية مدهشة، تتكشف تدريجاً، وما علينا إلا أن نلهم خلفهم للملمة خيوط السرد المتشابكة في مذكرات رجل رغب في اختبار ذاكرته،

العرب نجوم «مهرجان برلين»

أيضاً جائزة أفضل عمل روائي أول. جائزة «الذبي الفضي» (لجنة التحكيم الخاصة) ذهبت إلى الفيلم القصير «رجل يعود» للمخرج الفلسطيني مهدي فليفل، ونال «أربع فصول لأجل سوريا» لوارف أبو قرع وكيفورك مراد، «جائزة روبرت بوش» لأفضل إنتاج عربي ألماني مشترك. أما لبنانياً، فقد استحققت إيليان الراهب جائزة أفضل مشروع وثنائي عن شريطها «حرب ميغيل»، فيما فازت اللبنانية فيروز سرحال بجائزة أفضل مشروع فيلم قصير عن شريطها «تشويش». أما اللبناني ماهر أي سمرا الذي تطرق إلى معاناة آلاف العاملات الأجنبية في لبنان في شريطه «مخدومين»، فقد حصل على «جائزة السلام».

أسدل «مهرجان برلين السينمائي» أول من أمس الستار على دورته الـ 66، متوجاً وثنائي «نار في البحر» للمخرج الإيطالي جيانفرانكو روسي بجائزة الذهب، حول أزمة اللجوء في البحر المتوسط. جائزة أفضل مخرج ذهبت للفرنسية ميا هانسون لاف عن فيلمها «أشياء قادمة»، واستحق «الموت في سراييفو» لدانيس تانوفيتش جائزة «الذبي الفضي» التي تمنحها لجنة التحكيم. المشاركات العربية نالت نصيباً كبيراً من الجوائز. فيما حصدت ترين ديرهولم جائزة أفضل ممثلة عن دورها في الفيلم الدنماركي «الشعب»، حاز الممثل التونسي مجد مستورة جائزة أفضل ممثل عن دوره في فيلم «نحب هادي» لمحمد بن عطية الذي نال

Metro
www.metroadina.com
76 309 343
METRO
عيسى حسن
يرافقه إيلي معلوف و يوسف حبيش
إلّاثنين ٢٢ شباط ٢٠١٦ - تفتح أبواب الساعة ٩:٣٠ مساءً - تبدأ الحلقة الساعة ١٠ قسمة لبطاقة ٢٥,٠٠٠ ل.ل

Issa Hassan: Compositions, Buzuq & Vocals
.Elie Maalouf: Piano & Arrangements
Youssef Hbeisch: Percussion